

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: 25 - 28]

✽ مناسبة الآيات لما قبلها:

لما ذكر النظم الجليل في الآيات السابقة أنه ألحق ذرياتهم بهم في رتبهم، وكان الذُّما يأنسُ به الإنسانُ حديثه مع أحبته؛ بين النظم الجليل في هذه الآيات حديثهم وتذكُّر حالهم في الدنيا، وثناءهم على الله تعالى بحُسن إنعامه عليهم، وأنهم إذ يتعمَّون في هذا النعيم، فإنهم يتذكَّرون حالهم في دنياهم، وما لابسهم فيه من خشية ربهم والخوف منه، فقالوا الأمان والسلام بعد الإشفاق والخوف^(١).

ومنها: لما ذكرت الآيات السابقة نعيم أهل الجنة فيها من الناحية الماديَّة والمعنويَّة؛ جاءت هذه الآيات لتستكمل صورَ هذا النعيم، وذلك بتحدُّثهم بتلك الأحاديث المُسعدة التي يذكرون بها فضل الله عليهم وإحسانه إليهم، بإنزالهم هذا المنزل الكريم بعد أن نجاههم من البلاء ووقاهم عذاب السَّموم^(٢).

✽ شرح المفردات:

(1) ﴿فَمَنَّ﴾: (مَنَّ) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى اصْطِنَاعِ خَيْرٍ^(٣)، وَالْمَنَّ: الْإِحْسَانُ الَّذِي تَمَنَّ بِهِ عَلَى مَنْ لَا يَسْتَتِيبُهُ. وَاللَّهُ الْمَنَّانُ عَلَيْنَا بِالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا^(٤). وَالْمِنَّةُ: النِّعْمَةُ الثَّقِيلَةُ، مَنْ فُلَانٍ عَلَى فُلَانٍ: إِذَا أَثْقَلَهُ بِالنِّعْمَةِ، وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ

الاجتماع مع
الأحبة يعقبه
الحديث عن
سابق الحال
وَحُسْنُ الْمَالِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/19، والراعي، تفسير الراعي: 25/27، 28.

(2) الخطيب، التفسير القرآني: 568/9.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (من).

(4) الخليل، العين: (من).

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿آل عمران: 164﴾⁽¹⁾. والمراد به في الآية الكريمة: أحسن علينا بالمغفرة والرحمة⁽²⁾.

(2) ﴿السَّمُومُ﴾: (سم) أصل يدل على مدخل في الشيء، كالثقب وغيره، ثم يشتق منه. فمن ذلك السَّمُوم: الرِّيح الحارّة، لأنها أيضاً تُدَاخِلُ الأجسامَ مداخلةً بقوة⁽³⁾. وسَمُومٌ بَيْنَ السُّمِّ، وَخَرُورٌ بَيْنَ الْحَرِّ. وقد سُمِّتْ لِيلَتُنَا وَأُسْمِتْ⁽⁴⁾. والسَّمُومُ: الرِّيحُ الحارّةُ التي تُؤَثِّرُ تأثيرَ السَّمِّ، قال تعالى: ﴿وَوَقَفْنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾⁽⁵⁾. والمراد به في الآية الكريمة: "الرِّيحُ الحارّةُ التي تدخل المسام، فُسِّمَتْ بها نارُ جهنّم لأنها بهذه الصّفة"⁽⁶⁾.

(3) ﴿الْبَرُّ﴾: (بر، برر): أصله يدل على انبساط عظيم مع تجرّد أو انكشاف⁽⁷⁾. والبرُّ، أي: التَّوَسُّعُ في فعل الخير، ويُنسَبُ ذلك إلى الله تعالى تارةً، نحو: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾⁽⁸⁾. والبرُّ من صفات الله: العُطُوفُ الرَّحِيمُ اللَّطِيفُ الْكَرِيمُ⁽⁹⁾، وقد يُنسَبُ إلى العبد تارةً؛ فيقال بَرَّ العبدُ ربّه؛ أي: تَوَسَّعَ في طاعته، ويكون معناها بالنسبة لله تعالى الثَّوَابُ، ومن العبد الطّاعة. والمراد به في الآية الكريمة: المُحْسِنُ⁽¹⁰⁾.

❁ الْمَغْنَى الإِجْمَالِي:

يخبر النّظم الكريم عن تنعم أهل الجنّة بما هم فيه، ومن ذلك: أنّهم يُقبلون على بعض متسائلين عن أحوالهم في الدّنيا، فيتذكّرون

امتناناً أهل
الجنان برحمة
الرحمن

(1) الرّاعب، المفردات: (من).

(2) التّسفي، مدارك التّنزيل: 385 / 3.

(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سم).

(4) الأزهري، تهذيب اللّغة: (سمم).

(5) الرّاعب، المفردات: (سمم).

(6) التّسفي، مدارك التّنزيل: 385 / 3.

(7) جبل، المعجم الاشتقاقي: (برر).

(8) الرّاعب، المفردات: (بر).

(9) الأزهري، تهذيب اللّغة: (بز).

(10) التّسفي، مدارك التّنزيل: 385 / 3.

كيف كانوا خائفين من عذاب الله وهم بين أهليهم، فدعوا الله بإخلاص، فمن الله عليهم بالهداية والتوفيق فرحمهم ووقاهم عذاب السموم، وأدخلهم برحمته في جناته استجابةً لضرعتهم بقولهم: وإنا كنا في الدنيا نضرع إليه وحده أن يقينا العذاب الحار الشديد حره، ويوصلنا إلى النعيم، فاستجاب لنا وأعطانا سؤالنا، لأنه هو البرّ المحسن إلى عباده، الرحيم بهم⁽¹⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

دلالة الواو في قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾:

عطف النظم الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ على الجملة في قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ﴾⁽²⁾، أو على قوله تعالى: ﴿يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾⁽³⁾، فهو من تمام وصف مجالسهم التي يتنازعون فيها الكأس، ويطوف عليهم فيها الخدم ويتنادمون فيما بينهم عمّا سلف منهم في الحياة الدنيا.

نكتة التعبير بالإقبال مادةً وصيغةً:

آثر النظم الكريم التعبير بالإقبال في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾؛ للدلالة على أنهم يُقبل بعضهم على بعض مواجهةً؛ لأن الإقبال هو الإتيان من الأمام وجهة الوجه⁽⁴⁾. وفي التعبير به إشارة إلى صفاء القلوب وسلامة الصدور من الغلّ والحقد الذي كان في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾^(٥٧) [الحجر: 47]. وجاء التعبير بالفعل الماضي للدلالة على تأكيد تحققه، فهو من حكاية المستقبل بالفعل الماضي، إشارة إلى يقين تحققه، فجعله كأنه حكاية حال ماضية.

من تمام
التنعيم
محادثة
الأحبة في دار
النعيم

الإقبال في تلك
الجنان بين
المتحابين من
كمال النعيم

(1) جماعة من العلماء، التفسير للبسر: 1/ 524، وينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 815.

(2) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 14 / 24.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27 / 56.

(4) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثري: 27 / 55.

دلالة التعبير بقوله: ﴿بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ مع دلالة الإضمار:

الآباء والأبناء
والذريات في
جوارٍ عن سالف
الأخبار

عبر القرآن الكريم بالبعضية في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾، دون التّعيين والتّحديد؛ ليعمّ الجميع من الآباء والذّرية والأحباب والأصدقاء؛ بخلاف ما لو عبّر بالإظهار؛ فإنّه يشمل فئة دون فئة، والمقام مقام امتنان؛ فالعموم أولى، ولذلك كان عود الضّمائر على عموم المتّقين المذكورين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾، وعلى ذريّتهم في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾⁽¹⁾. فالتّساؤل واقع بين أهل الجنان عن سابق الأحوال. وفي التعبير بالبعضية إشارة إلى شدة الاتّصال والتّآلف؛ لأنّ البعض جزء من البعض، لا ينفك عنه.

دلالة التعبير بحرف الاستعلاء ﴿عَلَى﴾:

من أدب
الحديث مع
الآخر أن يُقْبَل
عليه السّامع
بوجهه كاملاً

دلّ التعبير بحرف الاستعلاء ﴿عَلَى﴾ الذي يفيد التّمكّن على شدة الإقبال من بعضهم لبعض؛ وذلك بتوجّهه بكامل وجهه، وفي ذلك إشارة إلى أدب الحديث مع الآخر، بأن يُقبَل عليه بوجهه كاملاً.

تُكْتَفَى تنكير ﴿بَعْضٍ﴾:

كلّ امرئ منهم
يذكر للآخر ما
كان من حاله

آثر النّظم الكريم التّعبيّر بلفظ ﴿بَعْضٍ﴾ مُنْكَرًا في قوله جلّ شأنه: ﴿عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾، فلم يقل: (على بعضهم) كما سبق ذكره؛ وذلك للدّلالة على التّعميم، أي: "يسأل كلّ بعض منهم بعضاً آخر عن أحواله وأعماله، فيكون كلّ بعض سائلاً ومسؤولاً، لا أنّه يسأل بعض معيّن منهم بعضاً آخر معيّنًا"⁽²⁾.

دلالة التعبير بالتّساؤل مادّةً وصيغةً:

من لطيف
المسرات معرفة
أسباب دخول
الجنّات

عبر النّظم الجليل بلفظ التّساؤل في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ دون غيره كالكلام والحديث؛ للدّلالة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 56 / 27.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السّليم: 149 / 8.

على أنهم يتكلمون عن أحوالهم في الدنيا بصيغة السؤال، بأن يسأل بعضهم بعضاً عن السبب الذي بلغ بهم إلى دار النعيم، ولايتأتى ذلك من التعبير بالكلام أو الحديث؛ لأنه قد يكون من طرف واحد بخلاف التساؤل، فلا بد من وجود طرفين؛ يؤكد ذلك أنّ فعل التساؤل جاء على صيغة التفاعل؛ للدلالة على أنهم يتشاركون ذلك الفعل⁽¹⁾. وجيء بالفعل المضارع للدلالة على تجدد ذلك ودوامه للمؤانسة والاستمتاع.

دلالة حذف متعلق «يَتَسَاءَلُونَ»:

حُذِفَ متعلق الفعل «يَتَسَاءَلُونَ» للدلالة على العموم؛ فيرد السؤال على الأقوال والأعمال التي هي سبب هذه الحال؛ كأن يقول: بأي عملٍ في الدنيا نلّت هذه الأحوال والدرجات الرفيعة؟⁽²⁾.

نكتة فصل قوله: «قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ»:

فصل النظم الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: «قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ»؛ لأنها مستأنفة لبيان تساؤلهم في قوله تعالى: «وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ»، فهم في تساؤلهم فيما بينهم يقولون هذه المقالة⁽³⁾. فالاستئناف بياني، فكأنه قيل: ماذا قال بعضهم لبعض في التساؤل؟ فقول: «قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ»؛ أي: قال المسؤولون⁽⁴⁾.

دلالة التعبير بالقول دون الجواب:

جاء التعبير القرآني بلفظ القول في قوله تعالى: «قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ» مع سبق التساؤل في قوله: «يَتَسَاءَلُونَ»، الذي يقتضي وجود الجواب، بأن يقول: (أجابوا)؛ لكنّه عدل إلى القول لأنّه أعمّ؛ فيشمل

عموم الأقوال والأعمال التي هي سبب هذه الأحوال

تساؤلهم إنما كان عن أحوالهم بين أهاليهم

التعبير بالقول أعمّ؛ فيشمل الجواب وغيره

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/19.

(2) القنوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 249/18.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 56/27.

(4) الهريري، حقائق الروح والريحان: 63/28.

الجواب وغيره، وللدلالة على أن التساؤل لم يكن من قبيل الاختبار، بل من قبيل التذاكر للماضي.

فائدة تتابع المؤكّدات في قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ﴾:

أكّد النظم الجليل الخبر في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾؛ لتقوية الخبر. وفيه إشارة إلى كمال تلذّذهم بما أهّلهم إلى ما هم فيه من النعيم؛ لأنّه من العظمة والأمان بحيث لا يكاد يُصدّق⁽¹⁾.

الإشفاق من
الجليل سبيل
الوصول إلى دار
اليقين

نكتة دخول فعل الكون:

عبّر النظم الجليل بفعل الكون في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾؛ للدلالة على رسوخهم في الإشفاق، كما أنّه يُشير إلى أنّهم أسندوا ذلك العمل إلى الله تعالى، فهو الذي جبلهم جبلة خير ووفّقهم إليه⁽²⁾.

الإشفاق صفة
راسخة في
المؤمنين

دلالة التعبير بالظرفية ﴿قَبْلُ﴾:

عبّر النظم الجليل بالظرف ﴿قَبْلُ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾؛ للدلالة على أن الإشفاق كان في دار العمل⁽³⁾، وهو أنسب لحكاية أحوالهم في الدنيا، فهو تلذّد بانتهاء زمان القبليّة الذي كانوا مشفقين فيه.

الدنيا دار خوف
وإشفاق انتهى،
والجنة دار أمن
وسلام

دلالة التعبير بشبه الجملة ﴿فِي أَهْلِنَا﴾:

عبّر النظم الجليل بشبه الجملة ﴿فِي أَهْلِنَا﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾؛ وذلك للإشارة إلى كمال إشفاقهم، فإنّ كونهم بين أهلهم مطنّة الأمن⁽⁴⁾؛ وذلك لما لهم من العدّة والعُدّة والنعمة والسعة؛ فمن أشفق حيث موئل الأمان كان إشفاقه شديداً عظيماً؛

المشفق بين أهله
أشدّ إشفاقاً من
سواه

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/19.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/19.

(3) الخطيب، السراج المنير: 4/115.

(4) الهريري، حقائق الروح والزيجان: 63/28.

وذلك لأن لفظ الأهل يُطْلَق على الدائرة المحيطة بالإنسان من الذرية والزوجة والأقارب، وهذا من صلاحهم وقوة إيمانهم بالغيب.

دلالة التعبير بـ ﴿مُشْفِقِينَ﴾ مادةً وصيغةً:

أثر النظم الكريم التعبير بالإشفاق في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ دون الخوف؛ لأنه يدلّ على دوام الخوف والحدّر مع اقترانه بالترحم؛ وذلك بأن يُشَقَّ على النفس قبل أن تجمع إلى العناد، وله أقسام: إشفاق على العمل أن يصير إلى الضياع، وإشفاق على الوقت أن يشوبه تفرّق، وعلى القلب أن يمازجه عارض، وعلى النفس أن يداخلها سبب، وكلّ هذه المعاني تؤكّد شدة خوفهم وحدّرتهم من ملاقة ربّهم؛ لذلك جاء التعبير باسم الفاعل للدلالة على كمال الاتّصاف بهذا الوصف، أي: عريقين في الخوف من الله تعالى⁽¹⁾.

شدة الخوف مع
الحدّر

نكتة حذف متعلّق ﴿مُشْفِقِينَ﴾:

حذف النظم الجليل متعلّق بالإشفاق في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾، فلم يبيّنوا من أيّ شيء أشفقوا؛ وذلك للدلالة على عموم ما يشفق منه، أي: خائفين من عصيان الله تعالى، وما يتبعه من سوء العاقبة⁽²⁾.

الدلالة على
عموم ما يُشفق
منه

دلالة التعبير بالفاء في قوله: ﴿فَمَنْ﴾:

افتتح النظم الجليل الآية بالفاء العاطفة في قوله جلّ شأنه: ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾، فعطف الامتتان على مقول القول في قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾، فكلا الجملتين من مقولهم⁽³⁾. ودلّت الفاء على أنّ الامتتان بالإنجاء من العذاب كان بسبب الإشفاق⁽⁴⁾ في دار الدنيا.

ما ألدّ النجاة
بعد الخوف
والمحادّرة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19 / 19.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8 / 150.

(3) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 14 / 25.

(4) الخطيب، السراج المنير: 4 / 115.

دلالة التعبير بالْمَنِّ في قوله: ﴿فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا﴾:

عَبَّرَ بِالْمَنْ لِعَظَمِ
النَّعْمِ الْمُعْجَمِ بِهَا

آثر القرآن الكريم التعبير بالْمَنْ دُونَ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَى النِّعْمَةِ الثَّقِيلَةِ؛ يُقَالُ: مَنْ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ، إِذَا أَثْقَلَهُ بِالنَّعْمِ، وَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ يَتَعَلَّقُ بِمَغْفِرَةِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ وَدُخُولِ الْجَنَّاتِ عَبَّرَ بِالْمَنْ؛ لِعَظَمِ هَذِهِ النِّعْمِ.

نُكْتَةُ إِسْنَادِ الْمَنْ إِلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ:

امْتِنَانٌ ذِي
الْجَدَالِ وَالْإِكْرَامِ
أَنْتُمْ امْتِنَانٍ
وَأَكْمَلُهُ

أَسْنَدَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ الْمَنْ إِلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَفْنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى كَمَالِ إِعْنَامِهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ، فَهُوَ الْإِلَهَ الَّذِي لَهُ جَمِيعُ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ⁽¹⁾.

دلالة التعبير بحرف الاستعلاء (على):

تَمَكَّنْ مِنْهُ اللَّهُ
تَعَالَى عَلَى أَهْلِ
الْجَنَّةِ كَمَالِ
التَّمَكُّنِ وَمُنْتَهَاهِ

عَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ بِحَرْفِ الْجَرِّ (على)، الدَّالَّ عَلَى الْإِسْتِعْلَاءِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَمَكُّنِ مَنْتَهَى تَعَالَى عَلَيْهِمْ كَمَالِ التَّمَكُّنِ وَمُنْتَهَاهِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى عَظِيمِ امْتِنَانِهِ، وَأَنَّهُ مُحَضُّ فَضْلٍ تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِمْ.

دلالة عطف الوقاية على الامتنان:

الْإِمْتِنَانُ إِتْمَا
يَكُونُ بِإِدْخَالِهِمْ
الْجَنَانَ،
وإِنْقَاذِهِمْ مِنَ
النَّيْرَانِ

عُطِفَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ الْوَقَايَةَ عَلَى الْإِمْتِنَانِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَفْنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾⁽²⁾، وَفَائِدَةُ الْعُطْفِ: الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ الْمَنْ وَالْإِنْعَامَ إِنَّمَا كَانَ بِإِدْخَالِهِمُ الْجَنَّةَ وَالتَّعَمُّعِ بِهَا، وَهَذَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَوَقَفْنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾⁽³⁾.

دلالة التعبير بفعل الوقاية مع دلالة نون الجماعة:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ بِالْوَقَايَةِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَفْنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى جَنَّبَهُمُ الْعَذَابَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19 / 20.

(2) الدَّزَّةُ، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9 / 292.

(3) إسماعيل حَقِّي، روح البيان: 9 / 197.

وسترهم برحمته⁽¹⁾، ويؤكد ذلك أن فعل الوقاية يرد في القرآن في النجاة من العذاب في الآخرة. ومما يُذكر في سرّ التعبير بنون الجمع في قوله: ﴿وَوَقَّنَا﴾ أنه لما كان عذاب الذريّات يحزن الآباء؛ جعلت وقاية الذريّات بمنزلة وقاية الآباء؛ فقالوا: ﴿وَوَقَّنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾؛ إغراقاً في الشكر منهم وعن ذريّاتهم⁽²⁾.

نوع الإضافة في قوله: ﴿عَذَابَ السَّمُومِ﴾:

أضاف النظم الجليل لفظ العذاب إلى السّموم في قوله جلّ شأنه: ﴿فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾، وهي إضافة حقيقيّة للتّعريف، فالعذاب إنّما هو عذاب النّار التي تدخل المسام بحرارته⁽³⁾، فعذاب السّموم هو عذاب نار جهنّم.

دلالة التعبير بالسّموم:

عبّر النظم الجليل بالسّموم تعبيراً عن عذاب النّار في قوله جلّ شأنه: ﴿فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾؛ للدلالة على ربح جهنّم والحرّ فيها، فأطلقت عليها لنفوذ حرّها في المسام كالسّموم، والسّموم: هي ريحٌ شديدة الجفاف والحرارة، تهبّ من جهة واحدة، فذكر السّموم ليعلّمهم بحرارتها؛ قياساً على ما عهدوه من الرّيح في حياتهم⁽⁴⁾. ولأنّها تتخلّل مسام الجسم وتؤثر فيه كما يؤثر السمّ في الجلد، وفي ذلك إشارة إلى الألم الشديد للمُعذّب بنار السّموم.

نكتة فصل قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا﴾:

فصل النظم الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾؛ لأنها مستأنفة استئنافاً تعليمياً، سيقّت

حبّ الله أهل
الجنة العذاب
وسترهم منه
برحمته

عذاب السّموم
هو عذاب النّار
المحرقة

تخللها مسام
الجلد وتأثيرها
فيه

ترتّب الامتنان
على سابق
الدعاء

(1) الخطيب، السراج المنير: 4 / 115.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 57 / 27.

(3) النيسابوري، غرائب القرآن: 6 / 194.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 57 / 27.

لبيان عِلَّةِ مَنَّةِ اللَّهِ تعالى عليهم⁽¹⁾، فالامتنانُ بسبب تقدُّمِ الدَّعاءِ، وهذا يُشير إلى أَنَّهُمْ عَظَّمُوا أَمَرَ اللَّهِ فَنَالُوا أَحْسَنَ الْجَزَاءِ⁽²⁾، ولأنَّ هذه الجملة بيانٌ لإشفاقهم المذكور في قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾، ولبيان اعترافهم باستجابة الله لدعائهم.

سرٌّ تتابع المؤكِّدات في الآية:

أكد النظم الجليل الخبر في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ بعدة مؤكِّدات؛ تقويةً للخبر وتأكيداً لإشفاقهم المذكور سابقاً⁽³⁾، وفيه إشارة إلى كمال تعبدهم ودعائهم.

نكتة دخول فعل الكون:

عبَّر النظم الجليل بفعل الكون في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾؛ لبيان شدة اتصافهم بصفة الدَّعاء والعبادة، فهي رسخت فيهم كرسوخ من طُبِعَ على الشيء⁽⁴⁾.

سرٌّ ذكَّر (مِنْ) في هذه الآية، وعدمُ ذكِّرها مع الآية السابقة:

أدخل النظم الجليل حرف الجرِّ (مِنْ) في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ ولم يذكِّره في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾؛ وذلك لأنَّ الدَّعاء بمعنى فعل العبادة يقع في بعض الزَّمان، فأثبت حرف الجرِّ، أمَّا التَّحَلِّي بالفضائل كالخوف من الله تعالى، والتَّخَلِّي عن الرَّذائل؛ لا بدَّ فيه من البراءة عن كلِّ قليل وكثير، وهذا يشمل كلَّ الزَّمان⁽⁵⁾.

نكتة دخول الظرف (قَبْلُ):

عبَّر النظم الجليل بظرف الزَّمان (قَبْلُ) الدَّالُّ على زمان

تقوية الخبر
وتأكيد
إشفاقهم،
والإشارة إلى
كمال تعبدهم
ودعائهم

صفة التضرع
راسخة في أهل
الإيمان

الدَّعاء بمعنى
فعل العبادة
يقع في بعض
الزَّمان

التَّعَمُّدُ فِي الْجَنَّةِ
مَنَّةٌ عَلَى الْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ فِي
الدُّنْيَا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 57/ 27.

(2) الخفاجي، عناية القاضى: 104/ 8.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 19.

(4) الخطيب، السراج للنير: 116/ 4.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 19.

القبليّة في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ دون أن يقول: (إِنَّا ندعوه)؛ وذلك للدلالة على أنّ ما قصده دعائهم الذي كانوا يأتون به في الدّنيا⁽¹⁾، فهُمْ يتحاورون ويتجادبون أطراف الحديث عن أحوالهم في الدّنيا.

سرّ التعبير بقوله: ﴿قَبْلُ﴾ عن الدّنيا:

جاء التعبير بقوله: ﴿قَبْلُ﴾ عن الدّنيا دون ذكرها صراحةً لدلالة السياق عليها؛ فما سبق ذكره من الإشفاق يُدلّل عليها، وكذا أمرُ الدّعاء واقعٌ فيها؛ لأنّها دارُ التّكليف، وأيضاً لانقضاء زمانها.

دلالة التعبير بالدّعاء مادّةً وصيغَةً:

آثر النّظم الكريم التعبير بالدّعاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ دون نعبده؛ لأنّه لفظٌ عامٌّ يشمل العبادة والتّوحيد والتّضرّع بكلّ صورته؛ بخلاف ما لو عبّر بالعبادة فقط، فإنّها قد تنصرف إلى التّكاليف، وعبّر بالمضارع للدّلالة على تجدد دعائهم واستمرارهم فيه، وأنّه دأبٌ نهجوا عليه، واشتغلوا به على مرّ الزّمان.

نكتة حذف متعلّق ﴿نَدْعُوهُ﴾:

آثر النّظم الكريم حذف متعلّق فعل الدّعاء في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾؛ وذلك للتّعميم وللشمول، أي: كنّا نبتهل إليه في أمورنا. كما أنّه يتناول دعاءهم لأنفسهم ولذريّتهم بالنّجاة من النّار، ونوال الجنان⁽²⁾.

سرّ تقديم جملة: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾:

قدّم النّظم القرآنيّ جملة: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ على جملة: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾؛ لأنّها تحمل الدّلالة على السّبب الأصليّ في الرّحمة، وهو العبادة بكلّ صورها، فكانت الموجب لبرّه سبحانه ورحمته⁽³⁾.

الدّعاء رأس
العبادات

دعائهم يشمل
كلّ أبواب الخير

الدّعاء موجب
لبرّ الله ورحمته

(1) الخطيب، السّراج المنير: 4 / 116.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27 / 57.

(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18 / 251.

نُكْتَةُ فَصْلِ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾:

بِرّه ورحمته من
أسباب استجابة
الدعاء

فصل النظم الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾؛ لأنها مستأنفة استئنافاً تعليلياً، سقت لبيان علّة الدعاء، ولبيان أنّه تعالى يستجيب دعاء الأبرار من عباده؛ لأنّه هو البرّ الذي يحسّن لعباده، والرحيم الذي وسعت رحمته كلّ شيء⁽¹⁾.

دلالة تتابع المؤكّدات في فاصلة الآية:

رحمة الله تعالى
بعباده على
تقصيرهم أمر
يقتضي التأكيد

أكّد النظم الجليل الخبر في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾؛ وذلك لأنّه إنعام الله تعالى عليهم مع كونهم لا ينفكون عن التقصير لا يفعله غيره، فهو ممّا يعجب منه غاية العجب، وذلك ممّا يقتضي تأكّيده⁽²⁾.

أثر تعدّد القراءات في قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ﴾:

تعدّدت القراءات في قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ بين فتحة همزة (إن) وكسرها؛ فقرأ نافع وأبو جعفر والكسائي بالفتح: ﴿أَنَّهُ هُوَ﴾ على تقدير اللام، والمعنى: ندعوه لأنّه هو البرّ الرحيم؛ أي: فلرحمته يجيب من دعاء؛ فلهذا ندعوه، وقرأ الباقر بكسر الهمزة على القطع والاستئناف⁽³⁾.

سرّ تذييل الآية الكريمة بهذين الوصفين:

تناسب البرّ
والرحمة لمقام
الإشفاق من
الله

ذيل النظم الجليل الآية بالوصفين الجليلين في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾؛ لمناسبته موضوع الدعاء والعبادة، فـ ﴿الْبَرُّ﴾ هو المحسن المنعم على عباده، وـ ﴿الرَّحِيمُ﴾ هو الكثير الرحمة، الذي إذا عبده عابداً أثابه، وإذا سألّه سائلاً أجابه⁽⁴⁾.

(1) الراعي، تفسير الراعي: 28 / 27.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 19 / 20.

(3) ابن أبي مريم، للوضح في القراءات: 3 / 1214.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8 / 150.

بلادة القصر في قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾:

قصر النظم الجليل صفتي البرِّ والرحمة على الله تعالى في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ وهو قصرٌ ادَّعائيٌّ، فإنَّ البرِّ والرحمة حاصلَةٌ فيما بين العباد، فوجَّه حصرها في الله تعالى المبالغة في عدم الاعتداد بما لدى غيره تعالى من تلك الصفَّتين⁽¹⁾، فما لديهم بالنسبة إلى صفات الله تعالى لا شيء يُذكر، ولا تصحَّ المقارنة بحال؛ لأنَّ صفاته كائنةٌ على وجه الكمال، وصفاتٍ غيره على وجه النقصان، ولأنَّها تختلف عن صفات البشر باعتبار عموم التعلُّق وباعتبار الدوام؛ لأنَّ الله برٌّ في الدنيا والآخرة، وغيرُ الله برٌّ في بعض أوقات الدنيا، ولا يملك في الآخرة شيئاً⁽²⁾.

سرَّ اختيارِ ﴿الْبَرِّ﴾ دون غيره:

أثر القرآن الكريم التعبيرَ بصفة ﴿الْبَرِّ﴾ في قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ مع أنَّ معهود القرآن يجمع بين الرحمن والرحيم؛ فيقول: ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 163]؛ لكنَّ التعبير جاء: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾؛ لأنَّ صفةَ البرِّ هي المناسبة لهذا السياق؛ وذلك لما تحمله من معاني السَّعة؛ فهو الواسعُ الجود، الذي عطاؤه حكمةٌ، ومنعه رحمةٌ، ولأنَّه لا يَنْقُصُه إعطاءٌ، ولا يزيده منعٌ؛ فهو يبرُّ عبده المؤمن بما يوافق نفسه؛ فربما برَّه بالنعمة، وربما برَّه بالبؤس؛ فهو يختار له من الأحوال ما هو خيرٌ له؛ ليوَسِّعَ له في العقبى⁽³⁾.

سرَّ تقديم البرِّ على الرحيم:

قدَّم النظم الجليل ﴿الْبَرِّ﴾ على ﴿الرَّحِيمِ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾؛ وذلك لأنَّها الصِّفةُ

كمال البرِّ
والرحمة لا
يكونان إلا لله
تعالى

البرِّ محسنٌ لمن
دعاه بإجابة
دعائه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 58 / 27.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 58 / 27.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 301 / 7.

الأخصّ بالنسبة إلى الدّعاء، فهو البرّ الذي يُحسّن إلى عباده باستجابة دعائهم، ولأنّ صفة البرّ تحمل معنى السّعة؛ فهو سبحانه يقبل كلّ ما يتقرّب به إليه العبد من إيمان وعمل صالح وأخلاق؛ أمّا الرّحيم فهو يتعلّق بكل أفعاله تعالى مع عباده، في الدّعاء وغيره⁽¹⁾ - فقدّم ما يتعلّق على وجه الخصوص بموضوع الآية.

❁ الفروق المعجميّة:

المنّ والإنعام:

المنّ أخصّ من الإنعام

النّعمة: الحالة الحسنة، والإنعام: إيصال الإحسان إلى الغير⁽²⁾. أمّا المنّ فيدلّ على اصطناع خير⁽³⁾. والمنّ: الإحسان الذي تمنّ على من لا يستثييه. والله المنّان علينا بالإيمان والإحسان في الأمور كلّها⁽⁴⁾. وقال العسكري: "المنّة هي النّعمة المقطوعة من جوانبها كأنّها قِطْعَة؛ ولهذا جاءت على مثال قِطْعَة، وأصل الكلمة القطع، ومنه قولُه تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: 8] أي: غير مقطوع، وسَمِيَ الدَّهْرُ مَنْوًى، لَأنَّه يَقْطَعُ بَيْنَ الْإِلْفِ، وَسَمِيَ الْإِعْتِدَادُ بِالنَّعْمَةِ مَنْاً لِأنَّه يَقْطَعُ الشُّكْرَ عَلَيْهَا"⁽⁵⁾. فالمنّ هو نعمة مقطوعة، فهو أخصّ من الإنعام، فالإخبار عن امتنان الله تعالى عليهم للدلالة على أنّها نعمة مقطوعة لهم، فهو تعالى قد أحسن عليهم بالمغفرة والرّحمة⁽⁶⁾.

(1) التّخجواني، الفواتح الإلهيّة: 2 / 359.

(2) الرّأغب، المفردات: (نعم).

(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (من).

(4) الخليل، العين: (من).

(5) العسكري، الفروق اللّغويّة، ص: 197.

(6) التّسفي، مدارك التّنزيل: 3 / 385.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والخمسون،
سورة الطور من الآية 25 إلى سورة الزّحمن الآية 30
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطور من الآية 25 إلى سورة الزّحمن الآية 30
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.
مج. 58، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-647-62-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 58: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطور من الآية 25 إلى سورة الزّحمن الآية 30.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-647-62-1

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-4238337 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"